حضرة سيدنا أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق

رضي الله عنهم أجمعين

الفقيه الورع، الشفيق الضرع، نجل الصدّيق، ذو الحسب العتيق، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق.جده الصدّيق رضي الله عنه، أما جدته فهي الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس التي أسلمت في مكة مع بداية الدعوة كانت أخت ميمونة بنت الحارث زوجة الرسول ε. تزوجت أولاً جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة لذا فإن رسول الله ε قال لهم : بل لكم هجرتان رداً على بعض الصحابة الذين قالوا لهم إنهم ليسوا

من المهاجرين الأولين .

فلما إستشهد زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تزوجت أبا بكر الصدّيق، ثم ولدت إبنها محمداً، ولدته في الطريق بين مكة والمدينة، في حجة الوداع . فلما توفي أبو بكر الصدّيق، تزوجت أسماء بنت عميس من علي كرم الله وجهه وهكذا فإن إبنها محمد بن أبي بكر نشأ في بيت الإمام علي رضي الله عنه، كان محمد بن أبي بكر يحب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وقد حارب معه في موقعة الجمل وموقعة صفين، ثم أرسله أمير

المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه إلى مصر ليكون أميراً عليها سنة سبع وثلاثين هجري ولكنه قتل بها، وحينما علمت أخته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقتله، حزنت حزناً شديداً، وكان محمد قد أنجب إبنه القاسم فأخذته أم المؤمنين عائشة وتولت تربيته فنشأ في بيتها . هذا هو الإمام الفقيه سيدنا القاسم من كان لغوامض الأحكام فائقاً وإلى محاسن الأخلاق سابقاً . فكان من أفضل أهل المدينة وأعلم أهل زمانه وأحد الفقهاء السبعة المشهورين في المدينة، ذا مكانة بين الناس . شديد الورع والخوف من الله عز وجل . قال يحيى بن سعيد ما أدركنا أحداً نفضله على القاسم بن محمد . وقال مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة، فهو الذي سرى فيه النور الأعظم والنور الأبهر وصب في صدره الشريف من صدّيقه سلمان رضي الله عنه ما صب في قلب الصدّيق الأكبر من حضرة النبي ε بموجب العهد يوم العهد والميثاق ليسري فيه سر هذه النسبة الشريفة للعلوم اللدنية والفيوضات الصمدانية في الطريقة العلية .فكان منبراً للعلوم وإماماً للعارفين وقدوة للسالكين، وسلطاناً للزاهدين . قال أبو أيوب السختياني رضي الله عنه ما رأيت أفضل من ا لقاسم لقد ترك مائة ألف وهي له حلال . وجاءه أعرابي فقال : أنت أعلم أو سالم ؟ فقال ذاك منـــزل سالم ولم يزد عليها حتى قام الإعرابي . قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب أو يقول أنا أعلم منه، فيزكي نفسه . وكان القاسم أعلمهما حيث كان مناراً وفي غاي ة التواضع وكأنه لم يبق لأحد في التواضع شيء .قال مالك قال عمر بن عبد العزيز رضي الله

عنهما : لو كان لي من الأمر شيء لوليت القاسم الخلافة .وقال سفيان إجتمعوا إلى القاسم في صدقة قسمها وقام يصلي فجعلوا يتكلمون فقال إبنه اجتمعتم على رجل والله ما نال منها درهماً ولا دانقاً، فأوجز في صلاته وقال يا بني قل في ما علمت .يقول سفيان : وصدق إبنه ولكن أراد تأديبه في النطق وحفظه . وكان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وهم سيدنا القاسم بن محمد وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ولد إبن أخي عبد الله بن مسعود الصحابي وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام، وكان الحرث من جملة الصحابة رضي الله عنهم وهؤلاء الفقهاء السبعة كانوا بالمدينة في عصر واحد وعنهم إنتشر العلم والفتيا في الدنيا، وإنما قيل لهم الفقهاء السبعة وخصوا بهذه التسمية لأن الفتوى بعد الصحابة رضوان الله عليهم صارت إليهم وإشتهروا بها، وقد كان في عصرهم جماعة من التابعين مثل سالم بن عبد الله بن عمر وأمثاله ولكن الفتوى لم تكن إلا لهؤلاء السبعة، كذا قال الحافظ السلفي وقد تقدم في ترجمة زين العابدين بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أنهما كان إبني خالة وأن القاسم والدته إبنة يزد جرد آخر ملوك الفرس وكذلك زين العابدين وسالم بن عبد الله بن عمر .ولما مات عبد الملك بن مروان أسف عليه عمر بن عبد العزيز أسفاً منعه من العيش وقد كان ناعماً فلبس مسحاً سبعين ليلة، فقال له القاسم بن محمد أما علمت أن من مضى من سلفنا كانوا يحبون إستقبال المصائب بالتحمل ومواجهة النقم بالتجمل فراح من يومه من مقطعات من حبر اليمن

شراؤها ثمان مائة دينار وفارق ما كان يصنع . وعن حماد بن زيد عن أيوب قال : سمعت القاسم يسأل عن شيء فيقول لا أدري لا أعلم فلما أكثروا عليه قال والله ما أعلم ما تسألون عنه ولو علمنا ما كتمناكم ولا حل لنا أن نكتمكم، وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال : ما رأيت أحداً أعلم بالسنة من القاسم وكان الرجل لا يعد رجلاً حتى يعرف السنة الشريفة .

ومن كلامه لإن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عز وجل عليه خير له من أن يقول ما لا يعلم . وكان يقول في سجوده : اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان، وعن أيوب قال رأيت على القاسم رضي الله عنه رداء قد صنع بشيء من زعفران ويدع مائة ألف لا يرى لها قدراً. أسند الحديث عن عائشة وإبن عباس وإبن عمر وغيرهم ر ضي الله عنهم وخرج له الستة، وعامة مسانيده في المناسك والأحكام وكان أفضل أهل زمانه . وقال مالك، القاسم من فقهاء هذه الأمة ولما احتضر قال : كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وأزاري وردائي.فقال إبنه : يا أبت ألا نزيد ثوبين ؟ فقال : هكذا كفن أبو بكر رضي الله عنه في ثلاثة أثواب والحي أحوج إلى الجديد من الميت . توفي في قديد بضم القاف وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة، منـــزل بين مكة والمدينة وكان حاجاً أو معتمراً وذلك سنة ثماني أو تسع ومئة عن سبعين وقد كف بصره الكريم وقال لإبنه شن التراب علي شناً وشق على قبري والحق بأهلك وإياك أن تقول كان .

وكان عليه من الله الرحمة والرضوان . ثم تلقى سر هذه النسبة الشريفة منه سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه .

حضرة سيدنا أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق

رضي الله عنهم أجمعين

حياته المعنوية قدّس الله سرّه

الفقيه الورع، الشفيق الضرع، نجل الصدّيق ذو الحسب العتيق، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق، جده الصدّيق الأكبر، وجدته الصحابية الجليلة أسماء بنت عميس التي أسلمت في مكة مع بداية الدعوة وكانت أخت ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله ε ، تزوجت أولاً جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وهاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة المنورة ولذا فإن رسول الله ε قال لها : بل لكم هجرتان رداً على بعض الصحابة الذين قالوا لهم إنهم ليسوا من المهاجرين الأولين .

ولما استشهد زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تزوج ت أبا بكر الصدّيق، ثم ولدت إبنها محمداً، ولدته في الطريق بين مكة والمدينة في حجة الوداع، ولما توفي أبو بكر الصدّيق تزوجت أسماء بنت عميس من علي كرم الله وجهه وهكذا نشأ إبنها محمد بن أبي بكر الصدّيق في بيت الإمام علي رضي الله عنه .

كان محمد بن أبي بكر يحب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه وقد حارب معه في موقعة الجمل وموقعة صفين، ثم أرسله أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه إلى مصر ليكون أميراً عليها سنة سبع وثلاثين للهجرة ولكنه قتل هناك، وحين علمت أخته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقتله حزنت حزناً شديداً، وكان محمد بن أبي بكر الصديق قد أنجب إبنه القاسم فأخذته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتولت تربيته وهكذا نشأ في بيتها .

ولد سيدنا القاسم في المدينة المنورة سنة ثمانية عشر للهجرة في السابع من شهر محرم الحرام يوم الجمعة وقت الإمساك وانتقل في شهر محرم الحرام وقت الإشراق سنة 78 هـ .

ففي عهد جده أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه كان قد نزل على أبي بكر ستة بلايا برفقته مع النبي ε وأما البلاء السابع كان في غار ثور في هجرته برفقة النبي ε وحبيبه وهناك قال له الرسول ε أي في غار ثور قد نزل عليك معي ست بلايا والسابعة هذه ، فإن طلبت وسألت من الله عز وجل شيء ما بواسطتي فإن الله تعالى يجيبك ويعطيك ما تسأل،

فاطلب الآن ما شئت، فقال الصدّيق : يا سر روحي يا حبيبي أنت أعلم مني ما هو الأصلح لي فإن طلبت ما هو الأليق لي، فإذ بالرسول ε يرفع يديه ويقول : يا رب العزة ما دام أثر شريعتي على وجه الأرض فلا تنقص بفضلك وإحسانك ورحمتك من نسل الصدّيق من يرشد أمتي العاجزة

إلى طريق الحق، فأجاب الله تعالى دعائه أولاً بالقاسم إبن محمد وإسمه المشهور في المدينة المنورة"أبو محمد القاسم"، ولم يكن في عصره على وجه الأرض أعلم منه أومثله في العلم .

وفي السنة التي انتقل القاسم من الدنيا خرج إلى الحاج في اليوم الثالث من شهر رمضان، فحين وصل إلى قديد وهي قرية بين مكة والمدينة نزلت فيها قافلته ورأى فيها ملائكة كثيرة بحيث لا عداد لهم بعضهم ينـــزلون ويزورون في ذلك المكان وبعضهم يعرجون إلى السماء وإلى ذاك الو قت لم ير العالم أكثر منهم، فلما رآهم حصل له التقوى والفيض الذي لم يكن له قبل، فنام هنالك فظهر جده أبو بكر الصدّيق الأعظم رضي الله عنه فقال له من هذا العالم الكثير بحيث لا حد لهم أي لعددهم فقال الصدّيق الأكبر هذا مكان حشرك ومدفنك ولتعظيم مدفنك ينـــزلون بأمر الله عز وجل للزيارة ولطلب البركة من الزيارة . وقال له لا تغفل قد قرب خروجك إلى حضور الحق تعالى (أي إنتقالك من عالم الفناء إلى عالم البقاء) ثم تيقظ من النوم فوجد روحانية جده الصدّيق الأكبر يقظة بقربه،

فقال القاسم له، يا جدي أنا قريب إلى ملاقاة الله عز وجل ، فبين لي ما هو الأصلح لألازمه في اللحظات الباقية من عمري. فقال له الصدِّيق يا ولدي إن تلازم الذكر باللسان والحضور بالقلب دائماً فيكون في هذا مصلحة حقيقية لك، ثم خرج من عنده .

ولما وصل إلى مكة المكرمة وفي يوم عرفة حضر إليها ونزل فيها، وفي تلك السنة كان كل الأكابر من الأولياء في عصره مجتمعين فيها وكانت رابعة العدوية جاءت إلى الحج، فسمعت جبل عرفة يبكي بكاءً شديداً كما يبكي الإنسان حين ينكسر قلبه، حتى أنها لم تقدر على تحمل ذلك فجرت دموع عينيها بلا إختيار، ثم قالت يا مظهر السعادة عرفة لأي شيء تبكي على هذا القدر العجيب فبين لي لأزيد بكائي وإنكسار قلبي، فقالت عرفة يا رابعة العدوية سبب بكائي إن أبا محمد وقد قرب ذهابه فبعد هذا لا يجيء ولا ينـــزل علي ولا يحصل لي الدرجة العظمى التي تحصل لي بسببه، وكذلك يبكي البيت المعمور والسموات السبع والأرض وكل ما فيهما لفراقه من الدنيا لأن موت العالم كموت العالم وهكذا يبكي الرسول ε والصدّيق وسائر الصحابة لأجل ما ينـــزل على الأمة من البلاء والفساد بعد فراقه وقالت عرفة لم ينـــزل على الأمة مصيبة أعظم من فراق القاسم سوى فراق الرسول ε وبشدة تأثير كلام عرفة وبكائه قد بكت رابعة العدوية في تلك الليلة كلها حتى نشفت دموعها،

وفي صبح هذه الليلة طلبت رؤية القاسم ووقع هذا الإجتماع بينهما فقال لها القاسم يا رابعة إني أسمع من كل أجزاء الكائنات الحزن والبكاء ولكن لم أنظر ولم أفهم لأي علة هذا البكاء من شدة مشاهدة محبوبي، فقالت له : يا حضرتي أطلب من جد ك العالي حقيقة الأمر، فلم يبقى لفمي القدرة على الكلام من شدة أثر هذا البكاء، فحينئذ ظهر وجاء روحانية أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه وقال يا ولدي هذه الشكاية والبكاء من أجزاء الكائنات لفراقك من الدنيا فسمع جميع أعضائه تبكي بكاءً معنوياً لأجل ما يجيء على الأمة بفراقه من البلاء والفساد .

ثم إنه طلب وسأل من الله تعالى قبول حج من نزلوا وصعدوا على عرفة ثم لضعفاء الأمة، فإذ هتف الهاتف الرباني أن كل من وقف في عرفة معك يكون حشرهم مع الرسول ε ثم ظهر روحانية الصدّيق الأكبر رضي الله عنه وقال له يا ولدي أدع الله عز وجل ع لى هذه الكيفية كرّات ومرات لشدة عشقه لدعائه، كما هتف الهاتف الرباني بسبب إنكسار قلب رابعة العدوية قدس سرها قد قبلت حجكم وأحللت نظري لكم، ثم في ذلك اليوم قد طلب من الله تعالى ما لم يخطر في قلب إنسان إلى ذلك الوقت، ثم أعطى الله تعالى لكل الأمة الكائنين في عصره من المواهب والمعارف والفواضل بحيث لم يعط إلى ذلك الوقت لأحد من بني البشر .

وعندما حان وقت الإفاضة من عرفة قال لها أنا أمانة عندك لا تنسيني يوم القيامة فهذا وقت الفراق، لأنك أعرف الأدعية لجميع الأنبياء والمرسلين، ثم نادت عرفة بصيحة عظيمة يا حضرة القاسم لا تنساني يوم الحشر . ثم إذا وصل إلى بيت الله الحرام سمع بكائه مثل نزول المطر على حال الغزارة وقال له أنت لا تحضر إليّ ثانياً يا نور عين رفيق رسول الله ε ثم حرك وتمايل سطحه على الأرض خمسمائة مرة إكراماً له ثم ودع الملائكة الذين نزلوا لزيارة حجر الأسود ثم و دع جنة المعلى وسائر الموجودات في مكة المكرمة ورجع إلى المكان المذكور "قديد "وانتقل فيه .

وفي كل يوم ينـــزل في ذلك المكان سبعون ألف ملك للتبرك، وعبائته المباركة قد أخذتها الملائكة إلى البيت المعمور .

شمائله: عيناه أحمران مثل النار بل أزيد لشدة التقوى، لونه مائل إلى السواد لكونه في الصحراء يعبد الله تعالى دائماً، وبشدة حرارة الشمس سقطت شعور لحيته من طرفيه ولأجله كانت قليلة من الجهتين لكن كانت طويلة جداً، جسمه طويل لم يكن مثله في عصره في الطول لكنه ضعيف جداً يظن كل من رآه أنه كيف يقدر المرور والمشي، كان يختم ك لام الله تعالى (القرآن) في كل يوم أربعين مرة ويذكر مائة ألف إسم من أسماء الصحابة وكان عاهد الله تعالى أن لا ينام

إلا بعد إتمام هذه المذكورات، وكان يسمع الجواب من الرسول ε بمقابل كل صلاة، ومأكوله رغيف واحد، فإذا حصل له ذلك الرغيف يصبر وينظر ويدور في المد ينة لتفحص من هو جائع

فإن وجده يعطي له الرغيف ولا يأكل وإن وجد هرة جائعة يعطي لها فإن لم يجد الجائع كان لا يأكله إلا بعد مجيء الأمر من الرسول ε بأكله . وفي كل ليلة يزور أيتام المدينة المنورة ويمسح يده عل رؤوسهم ويجري الدمع من عيونه كلما مسح يده .وكان يعظ لأهل المدينة في ضمن كل ثلاثة أيام مرة واحدة وحين يذهب إلى الجامع إن لقي حيوان ما في الطريق ولو صغيراً يصير مثل الجماد لئلا يخاف منه، وحين يسجد ينظر إلى مسجده خوفاً من وجود حيوان ضعيف فيه وموته منه، ولشدة تقواه وخوفه من الله تعالى قد كان في ساقيه مرض لضمه إياهما دائماً، وفي ضمن أربعين سنة لم يصلِّ صلاة إلا بعد الغسل والإستغفار سبعين ألف مرة ثم يدعو الله تعالى بعد كل صلاة برفع يديه ويقول يا رب يا عفو فاعف عني فإن صلاتي هذه قد نقصت، وظلمت لفرضك، وعلى هذا الإنكسار والمناجات يبقى مدة طويلة بعد كل صلاة . وكان صاحب بلايا كثيرة

ومن بين البلايا النازلة عليه أنه كان في عصره رجل كامل في الفسق ظالم فإذا كان في الصلاة يعلق على عنقه سلسلة من الحديد الحار المحمي بالنار فإذا وضعه على عنقه يدخل ويصل في تلك اللحظة إلى العظم بإحتراق اللحم ويشم الناس رائحته وهو لا يتحرك كالجماد

ولا يعلم عذابه .

ووقت إنتقاله من الدنيا لم يؤد روحه إلى عزرائيل إلا بعد تمام الوظائف، وقبل إنتقاله سئل أي شيء التصوف فقال : التسليم لجميع الصلحاء والفقراء ثم طلبوا منه معنى التسليم فقال :

إن رسول الله ε قد أخرج وفرق خمسمائة ألف أصحاب من صرف الدنيا التي يك ون المعيشة به لأنهم لم يكمل إذعانهم ولم تتحقق التسليمية الحقيقية فيهم دفعة واحدة، وأما سائر الأصحاب قد تركوا على معيشتهم المألوفة لأنهم قد كمل فيهم الاذعان والتسليم الحقيقي ووصلوا إلى عهودهم المأخوذة يوم العهد والميثاق دفعة واحدة برؤية جمال وجه الرسول ε مرة واحدة، وإن تحقق لموحد واحد حقيقة التسليم يحصل له الوصول مع كونه في صنعته الأصلية . وثانياً تعريفه إن فعل المريد ألف شيء موافقاً لأمر إمامه ثم فعل شيءً واحداً بتدبيره وإختياره وإن كان شيئاً محموداً في الشريعة والطريقة فساعتئذ ينقطع التربية عنه، وثالثاً تعريفه إن شاور المريد مع واحد بلا إذن الإمام حرم له النظر من شيخه، وإن ظهر هذا التسليم من واحد يبشره الرسول ε

ويكون الصديق شاهداً، فهذه المذكورات كلها من بداية الحال وأما نهايته فيقول : إن الأنبياء والمرسلين إلى نبينا المطلق ε لم يدركوا ولم يعرفوا بكنه حقيق ة العوالم والموجودات

وأسرارهم وتوحيدهم حتى لم يعرفوا حقيقة القضيب اليابس، فإذا علمتم هذا فاعلموا أن الأنبياء والمرسلين والأولياء يعرفون أجزاء حقائق الكائنات وأسرارها وشؤنها على حدهم ووسعهم وعهودهم الواقعة في الأزل، وأما القاسم إذا نظر إلى عالم الأكوان قاعد اً على سجادته الشريفة يدرك ويعلم حقائقها وأسرارها على حد وسعه وحقيقته كما عهد له ووعد له ويقول هذا عندي وعند الأنبياء والمرسلين ونبينا المختار ε وصحابته هكذا يبين حدودها، ويصل ويحيط أثار بصيرته في حقها إلى ما عند الله تعالى اللهم لا تحرمنا نظرهم وبركاتهم وشفاعتهم وفيوضاتهم دائماً آمين .